المقدمة

إن " مجال التصوف يعد مجالاً خصباً من مجالات الفلسفة الإسلامية بوصفه تحقيقاً للكمال الروحي بحسب عقيدة الإسلام وشريعته " [1] وقد حظي التصوف بعناية فائقة وكبيرة من الدارسين والباحثين سواء في الشرق أم في الغرب علي حدٍ سواء وذلك في محاولة جادة لتحليل أصوله وبيان مصادره حتى تظهر أصالته كعلم إسلامي أصيل نبع من صميم العقيدة والبيئة الإسلامية ــ وذلك عند الباحثين المنصفين ــ يقول المستشرق لويس ماسينيون : وقد بين خطأ (نيكولسون) إن إطلاق الحكم بأن التصوف دخيل في الإسلام : غير مقبول .

فقال ــ (والحق أننا نلاحظ ــ منذ ظهور الإسلام ــ أن الأنظار التي اختص بها " متصوفه " المسلمين : نشأت في قلب الجماعة الإسلامية نفسها أثناء عكوف المسلمين علي تلاوة القرآن والحديث وتقرئهما وتأثرت بما أصاب هذه الجماعة من أحداث ، وما حل بالأفراد من نوازل) .[2]

كما لم يغفل هؤلاء الباحثون دراسة الشخصيات الكبيرة التي لها إسهاماتها الوفيرة في بناء ذلك العلم .

---

[1] د/ الجزار (أحمد محمود) فخر الدين الرازي والتصوف ــ (المقدمة ــ د) نهضة الشرق ط١ سنة ١٩٩٦ م .

[2] د/ عبد الحليم محمود . (المنقذ من الضلال لحجة الإسلام الغزالي ، وأبحاث في التصوف) ط٤ صـ ٢١٦ سنة ١٩٦٤م . مكتبة الأنجلو المصرية ــ القاهرة ، وأيضاً ــ دائرة المعارف الإسلامية ــ مادة تصوف ــ بقلم الأستاذ / لويس ماسينيون .

فإنه باعتباره (تربية روحية وذوقية يمكن أن يشحذهم العالمين للسعي نحو عالم أفضل من النور والاستقرار النفسي والوجداني).[1]

والحب في النفس الإنسانية جبلة عليها فطر الإنسان لأنه أساس حركته وجوهر الوجود ولب العبادة (ودعامة العلاقات والمعاملات بين الناس بعضهم البعض ، وبين الناس والأشياء) [2] وذلك لأن (حركة الأفلاك وما حوته تابعة للحركة الإرادية المستلزمة للمحبة) . [3]

وللحب من الآثار والنتائج ما يتعدى ظاهر لفظه ، وحدود معناه إلي آفاق أكثر سعة ورحابة وما من قلم من الأقلام إلا تناول المحبة بما لديه من شوق ووجد وهيام سواء أكان فقيهاً أم متصوفاً أم فيلسوفاً أم متكلماً أم صاحب علم ذا ذوق وشوق .

وقد اتفق الفقهاء علي أن المحبة جوهر العبادة ولب العبودية فلا يكون محبوباً لله إلا من يتبع رسوله ، وطاعة الرسول ومتابعته لا تكون إلا بتحقيق العبودية .

يقول الإمام الغزالي ــ رحمه الله تعالي ــ (كمال الحب أن يحب الله عز وجل بكل قلبه ، وما دام يلتفت إلي غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره ، وبقدر ما يشغل بغير الله ينقص منه حب الله) . [4]

---

[1] د / سيد عبد الستار ميهوب (الولاية عند عبد الكريم الجيلي) صـ ٥ ط١ : سنة ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٤م دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع .

[2] سمير حلبي ــ (المحبة) صـ ٥ مكتبة الصحابة ط١ ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م ــ طنطا .

[3] ابن قيم الجوزية روضة المحبين ونزهة المشتاقين ــ صـ ٥٨ ــ دار الكتب العلمية ببيروت ١٤٠٣هـ .

[4] الإمام ــ الغزالي(أبو حامد) إحياء علوم الدين صـ ٢٦٠٧ ــ ط ، مصطفي البالي الحلبي ١٣٥٨هـ .

ويقول الإمام ابن تيمية مبيناً مفهوم المحبة ومقرراً أن :(محبة هذه الأمة لله تعالي أكمل من محبة من قبلها وعبوديتهم لله أكمل من عبودية من قبلهم). [1]

ويقول الإمام ابن حزم الأندلسي :

(والحب ــ أعزك الله ــ أوله هزل ، وآخره جد ، دقت معانيه لجلالتها عن أن توصف ، فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة ، وليس بمنكر في الديانة ، ولا بمحظور في الشريعة ، إذ القلوب بيد الله عز وجل) . [2]

وإذا كان الحب ليس حكراً علي طائفة معينة أو أشخاص يشار إليهم ــ فإنه يتفاوت فيما بين الناس لذا فإنه يمثل قضية محورية من قضايا التصوف وبذا فإنه ــ أي الحب ــ والفناء معاً يمثلان أهمية خاصة في إطار الدراسة العلمية للفكر الصوفي لأننا نستطيع القول بدون مبالغة : إن الحب والفناء هما قلب التصوف الناضج والموصل إلي الاتحاد بالمحبوب علي نحو يليق بجوهر الشريعة ولا يخالفها .

وفي ضوء هذا توجهت إلي دراسة التصوف الإسلامي علي وجه التحديد ووقع اختياري بتوفيق من الله إلي دراسة قضية الحب الإلهي والفناء بين الغزالي وابن تيمية ــ دراسة مقارنة ــ فهما فكرتان ترتبطان ارتباطاً وثيقاً في النسق الصوفي إذ كل محب له محب يستولي عليه في كل حواسه فيتحرك بالحب الظاهر والباطن معاً حتي إذا ما تلازمت وتساوت حركة الظاهر والباطن أصبح المحب في حال الفناء في محبوبه الذي هو مطمح عظيم عند المحبين .

ولذلك كانت هذه الدراسة مهمة بالنسبة للحياة الصوفية وخصوصاً عند شخصية مهمة كالغزالي الذي يعد من أبرز صوفية الإسلام والذي استطاع

---

(1) ابن تيمية (العبودية) ــ تحقيق محمد حامد الفقي صـ ٥٨ مطبعة السنة المحمدية ١٩٧٩ م .

(2) ابن حزم الأندلسي (أبو محمد علي بن أحمد) طوق الحمامة في الإلفة والأُلاّف) : صـ ١٩ بتحقيق : د/ الطاهر أحمد مكي ــ ط . دار المعارف بمصر سنة ١٤٠٠هـ .

بحق أن يكون رائداً وزعيماً للتصوف السني والذي أصبحت كتاباته العمدة الرئيسيـــة التي يرجـــع إليها المتصوفة من بعده وخصوصاً في كتابه " الإحياء " .

ولقد نزع الصوفية إلي طلب الإيمان والمعرفة عن طريق (التصفية والمشاهدة وتطلعوا إلي وضع نظرية في المعرفة وسبل كسبها فأصبح التصوف طريقاً للعرفان وإذا كانت المعرفة عند العلماء والحكماء والمتكلمين تجيء بالتعلم والبرهان ، فإنها عند الصوفية تجيء إلهاماً بعد تصفية النفس بالتعبد والمجاهدة وغيرها مما هو معروف عند الصوفية) . [1]

ولكن التصوف تطور مرة بعد مرة . متطلعاً علي يد بعض رجاله إلي كشف حجاب الحس ومعرفة ما وراءه حتي وصل إلي حد المغالاة بابتداع نظريات يتنافي ظاهرها مع أبسط قواعد الدين الإسلامي وتعاليمه .

وصارت له شطحات أخرجت بعض رجاله عن حد الدين . وقد تصدي العلماء لإنكار المذاهب الجامحة من اتحاد وحلول ووحدة وجود مما أهل ــ بعناية الله تعالي وحده ــ إلي ظهور صوفي كبير . من الأشاعرة (أنشأ تصوفاً يجري علي الكتاب والسنة ذلك هو الغزالي) . [2]

الذي استطاع أن يستغل ما لدي التصوف من القدرة علي (استثمار التجربة الدينية علي نحو منظم) [3] تجعله ينمو ويتطور في مرحلة راقية من مراحل التطور الديني .

---

[1] د/ توفيق الطويل / قصة الصراع بين الدين والفلسفة ــ صـــ ١٣٩ ط٣ ، ١٩٧٩م ــ دار النهضة العربية ــ مصر .

[2] د/ توفيق الطويل ــ السابق صـــ١٤٠ .

[3] هاملتون جب ــ (دراسات في حضارة الإسلام ــ صـــ ٢٧٥ ــ ترجمه ــ د/ إحسان عباس ــ و د/ محمد يوسف نجم ، و د/ محمود زايد ــ دار العلم للملايين ــ بيروت ط٣ سنة ١٩٧٩م .

وأيضاً فإن هذه الدراسة تصبح علي قدر كبير من الأهمية عند فقيه كبير مناظر للغزالي في المكانة وفي تأثيره في الحركة الفكرية الإسلامية وهو ابن تيمية الذي وصفه أحد المستشرقين بقوله : (إنه لم يظهر لدي أهل السنة مفكر أصيل بارز بعد القرن الخامس إلا ابن تيمية) . [1]

ولئن كان الغزالي يمثل التيار الأشعري الصوفي ، وابن تيمية يمثل التيار السني السلفي ، ولكل من التيارين أنصاره ورجاله إلا أن بعض الباحثين الدارسين لتطور الحركة الفكرية الإسلامية في محيط التأثير والتأثر بالعوامل الخارجة عن الإسلام والخارجية التي تحاول أن تهدم صرحه وتقوض بنيانه ــ يعتقد هذا الباحث (أن نهضة المسلمين وانبعاثهم من رقدتهم وغفوتهم إنما تتوقف إلي حد كبير علي مدي أخذهم بهذا التيار السلفي السني ، أخذاً قائماً علي الفهم والدراسة والعلم والعمل بالعلم ، لا أخذاً قائماً علي التعصب الفارغ والحماسة العاطفية) [2]

أما من ناحية ارتباط الفناء بالمحبة . فإن الفناء علي وجه التحديد قد ارتبط في أذهان الناس بتصورات عن الحلول والاتحاد ومذهب وحدة الوجود وهي إن وجدت لدي نفر من صوفية المسلمين بالاسم إلا أنها لا تنطبق عليهم كلهم ، وعلي هذا ففكرة الفناء في تلازمها مع المحبة عند الغزالي وابن تيمية تستحق فعلاً الدراسة العلمية الجادة لإبراز فحواها عند الاثنين معاً .

---

[1] هاملتون جب ــ السابق صـ ٢٨١ .

[2] د/ محمد رشاد سالم (مقارنة بين الغزالي وابن تيمية) صـ ٥ دار القلم للنشر والتوزيع ــ الكويت ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٢م .

هدف الدراسة :

في ضوء هـذه الأبعاد التي قد بينتها من قبل موضحاً أهمية موضوع الدراسة .

فإن هدف الدراسة تحقق الآتي :

أ- بيان مفهوم المحبة والفناء ارتكازاً من الثوابت الأساسية لدي الدين الإسلامي ، وبيان الغاية التي من ورائها نشأت واتضحت لدي متصوفي وفقهاء الإسلام .

ب- بيان مفهوم المحبة والفناء بين الغزالي وابن تيمية محاولاً إيجاد نقاط الإلتقاء والاختلاف أو التغيير في مفهومهما مبيناً أن المحبة والفناء هي الطريق إلي معرفة الله عز وجل ، وأيضاً محاولة الفصل المنهجي بينهما .

وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة وتسعة فصول :-

تناولت المقدمة الأسباب التي دفعتني للكتابة في هذا الموضوع وتبويب فصوله .

وجاء الفصل الأول بعنوان :

البيئة الفكرية والسياسية والاجتماعية بين الغزالي وابن تيمية ويشمل:

أولاً : عصر الإمام الغزالي ونشأته

الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية

نسبه ونشأته ومولده

شيوخه ــ تلامذته ــ مؤلفاته

ثانياً : عصر الإمام ابن تيمية ونشأته

الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية

نسبه ونشأته ومولده

شيوخه ــ تلاميذه ــ مؤلفاته

وجاء الفصل الثاني : بعنوان

مفهوم المحبة والفناء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ويشمل :

أولاً : المحبة في القرآن الكريم

ثانياً : المحبة في السنة النبوية الشريفة

أسباب حصول المحبة

حال الفناء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

والفصل الثالث : بعنوان

مراتب المحبة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ويشمل

أولاً : مراتب المحبة وأسبابها الدافعة لها في القرآن الكريم

أسباب تحقق المحبة في قلب العبد وحصولها

ثمرات المحبة

ثانياً : المحبة في السنة النبوية الشريفة

نتائج المحبة

والفصل الرابع : المحبة موضوعها وغاياتها عند الغزالي ويشمل

شواهد الشرع في المحبة

طرق تحقق المحبة لله تعالي عند الغزالي

المستحق للمحبة هو الله سبحانه وتعالي

تفاوت الناس في المحبة

بين محبة الله للعبد ومحبة العبد لله تعالي

علامات المحبة

مراتب المحبة عند الغزالي

والفصل الخامس بعنوان :

المحبة موضوعها وغاياتها عند ابن تيمية ويشمل:

الفرق بين المحبة والخلة

درجات محبة الله ورسوله

درجات الناس في المحبة

صلة الحب بالإرادة الإنسانية ودوره في السلوك الأخلاقي

علة المحبة

أسباب المحبة

مفسدات المحبة

أقسام المحبة ودرجاتها

حدود المحبة

العشق والمحبة

علامات أهل المحبة

غاية المحبة الرؤية

مراتب الرؤية

موقف ابن تيمية من منكري المحبة

موقف ابن تيمية من الفرق الإسلامية في المحبة

والفصل السادس بعنوان :

المعرفة عند الإمام الغزالي ويشمل :

أنواع المعارف عند الغزالي

منهج الغزالي في طلب المعرفة

طرق الغزالي في الوصول إلي اليقين

حظ العقل من المعرفة الصوفية

معرفة الله ومعرفة النفس

علاقة المعرفة بالمحبة

والفصل السابع بعنوان :

المعرفة عند الإمام ابن تيمية ويشمل :

الإلهام القلبي أو الكشف كمصدر للمعرفة

تفسير ابن تيمية للإلهام القلبي ورأيه فيه

معرفة المحبين بين الخوف والرجاء

والفصل الثامن بعنوان :

الفناء عند الإمام الغزالي ويشمل :

أقسام الفناء

مراحل الفناء الأولي

مزالق الفناء ومحاذيره وما يؤدي إليه

الفكر الإسلامي ونظرية الحلول

الغزالي والحلول وإبطاله

الغزالي والاتحاد وإبطاله

الفناء في التوحيد عند الغزالي

مراتب التوحيد وحقيقته عند الغزالي

والفصل التاسع بعنوان :

الفناء عند الإمام ابن تيمية ويشمل :

أقسام الفناء

موقف ابن تيمية من النظريات المنحرفة من التصوف

نظرية الحلول وموقف ابن تيمية منها

تفنيد ابن تيمية لعقيدة الحلول

ابن تيمية والقائلين بالاتحاد

موقف ابن تيمية والقائلين بفكرة الاتحاد

موقف ابن تيمية من القائلين بوحدة الوجود

ثم نتائج البحث ثم المصادر والمراجع

وبالله التوفيق